الكوميديا السوداء بين النظرية والتطبيق

د. منتهى طارق حسين جبار المهناوي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية

الفصل الاول

الاطار المنهجي

مشكلة البحث

شكلت الكوميديا السوداء بعد الحرب العالمية الثانية شكلا جديدا مغايرا وعلامة فارقة عن سواها الكوميديا فهي كسرت كل الانظمة التي عملت عليها الكوميديا التي كانت تهتم لتعرض قضية بعينها او مجرد اضحاك وتسلية .على العكس من ذلك كانت هي اي الكوميديا السوداء عملية تهييج اجتماعي يستدعي فكرة الضعف والظلم بأسلوب ساخر ماساوي باكي باطنيا، لتكون بذلك الكوميديا السوداء او التراجيكوميدي او الكومك الصادم هي جمع بين خطين مهمين في الدراما هما الكوميديا والتراجيديا التي تهدف الى كشف زيف المجتمع وايقاظ وعي المتلقي عبر وسائله الجمالية والنقدية عن طريق السخرية الصادمة والهزل والمفارقة والبكاء والضحك والتعرية، فهي فلسفة تأملية مأساوية بنظرة عبثية لواقع مرير ومجتمع متهرء عن طريق الضحك الهستيري الممزوج بالبكاء..من هنا جاءت فكرة مشكلة البحث على شكل السؤال الاتي/ هل يمكن اعتبار الكوميديا السوداء نظرية مسرحية أم تقنية درامية؟

هدف البحث

هو الكشف عن خصائص الكوميديا السوداء في النص و العرض المسرحي .

اهمية البحث

يفيد الدارسين في مجال المسرح والنقد.

حدود البحث

تحليل عينة تطبيقية تستند الى الكوميديا السوداء في تحليل المعلومات. فكان اختيار مسرحية احلام كارتون للكاتب كريم شغيدل واخراج كاظم النصار والتي عرضت على خشبة المسرح الوطني بغداد 2014.

الفصل الثاني

الاطار النظري

م1/ مفهوم الكوميديا

كان لابد من توضيح مفهوم الكوميديا والتطرق الى الاراء والمعاني التي حددت هذا المفهوم. ولو رجعنا الى الاصل اللغوي للكوميديا نجدها قد عرفت بقاموس المعاني على انها الملهاة حادثة مضحكة، رواية احداثها مضحكة، سلسلة احداث تبعث على الضحك العنصر الكوميدي او الهزلي.

لغة: الكلمة لاتينية ,تعني باللغة العربية(هزلي).

اصطلاحاً: الكلمة تعني القول أو الفعل الذي يثير الضحك .وهو مصطلح .

مستنبط من تعريف الكوميديا :" وهي من الكلمة اليونانية (comedy) وهي أغنية كان يغنيها المشاركون المتنكرون بأقنعة حيوانية في مواكب الاله ديونيسوس وعدها أرسطو مسرحياً .....محاكاة لأفعال ألأدنياء تقوم بها شخصيات من منزلة وضيعة".[1]

لقد كانت البداية الاولى لنشأة الكوميديا هي في صقلية عندما منحها (أبيخارموس) الشكل الفني الاول لها. وتطورت بعد ذلك على يد شعراء اليونان حتى وصولها ليد (ارستوفانيس) اذ نشأت الكوميديا مثلها مثل التراجيديا من اعياد (ديونيسوس) وايضا اعياد (الليناليا) التي كانت تقام تكريما لديونيسوس لذا كان ارتباطها مثل ماكانت التراجيديا باعياد ديونيسوس الاله الشعبي.

لم يكن للكوميديا انذاك صور محددة فقد جاءت خليط من الحركات الغير منتظمة والتي تثير الضحك وعرفت أولاً في جزيرة صقلية إذ منحها (إبيخارموس) أول أشكالها الفنية ، ثم انتقلت إلي أثينا إذ ازدهرت و تطورت علي أيدي عدد من الشعراء ، إلى أن وصلت أوج كمالها على يد (أريستوفانيس)"[2] . وهذه الحركات سميت بأسم(كوموس)، " كلمة (كوميديا) تجمع بين كلمتي (كوموس) بمعنى احتفال أو موكب ريفي صاخب ومعربد, و(اودي) بمعنى أغنية من الأغاني والرقصات التي كانت تؤدى في أنحاء الريف الإغريقي إبان الحصاد ولاسيما قطاف العنب المرتبط بأعياد (ديونيسوس) آله الخمر ,إذ تكثر المواكب والرقص والعربدة وتكثر حالات السكر في المدينة ,حينها يكثر الضحك في المدينة "[3] ، وهذه الحركات سرعان مالبثت ان قننت ضمن اطار مسرحي بقالب وشكل عرف بأسم المسرحية (الساتيرية) التي كانت تقوم

بمرافقة التراجيديا كنوع من الترفيه بعد العروض المأساوية، حتى جاء استقلالها على يد (ارستوفانيس) الذي وضع للكوميديا قوانين واصول ومميزات واهداف وشكل خاص بها. حينما لجأ الى انزال الشخصيات من عظمتها الى مراتب الحضيض. وكذلك نزل باللغة عن مستواها الشعري الى مزلة الاسفاف، وكذلك تخلى عن الوحدات الثلاثة، واهمل القدرية ليستعين عنها بالعقل والمنطق، فكانت مسرحياته مسرحيات نقد لاذع تجسد عن طريق التصوير الكاريكاتوري، وينسب ظهور الأداء الهزلي منذ ظهور مسرحية الضفادع (لارستوفانس) فكان لهذه المسرحية الأثر الكبير في موضوع الكوميديا من خلال تضاعف الأداء.[4].

ثم جاء (ميناندر) ليرتقي بفن الكوميديا بعد ارستوفانيس بأدخاله موضوعات جديدة على هذا الفن مثل الملاهي الحزينة ، وبهذا يكون ميناندر قد نقل الكوميديا الى شكل اخر وهو ادخال العاطفة والمأساة، اذ عمل على تخفيف الهجاء العنيف وتحويله إلى التصوير الشعبي المألوف. وقد كتب مائة كوميدية شعرية [5]. ومسرحيته (هيلين) من النماذج المهمة لهذه السمة.

انتقلت بعد اذ الكوميديا من الاغريق لتصل عصر اخر وكتاب لايقلون اهمية عن ما سبقهم مثل (بلاوتس) الذي كتب باسلوب جمع فيه بين ارستوفانيس وميناندر ليكون اسلوبه مشوشا بين الاثنين، فشخصيات (بلاتوس) من التجار والأبناء والرق والبغايا والبؤساء "[6] .

اما في عصر العصور الوسطى التي حرمت فيها الكنيسة المسرح وخاصة الكوميديا بأعتبارها أبتذال وسخرية ومجون تتعارض مع ما جاء به الدين المسيحي. لكن من خلال هذه المرحلة ولدت العبادات الالهية فكان هناك نوع خاص من التعبير الملائم لهذه الفترة وهي المسرحيات (الاخلاقية ، الخوارق، والاسرار) التي نبعت من رحم الديانة المسيحية فكانت بداية الامر مأساوية لكن سرعان مالبثت ان تتبعها الكوميديا التي سميت بالروايات الهزلية (الفواصل) التي ظهرت اواخر العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة. لتنتقل بهذا الكوميديا الى شكل اخر سمي بكوميديا (ديلارتي) التي كانت عبارة عن حوارات مرتجلة تعطي الممثل فسحة من الحرية عن مايكنه داخله من هواجس ومعاناة بألفاظ وليدة اللحظة ضمن سيناريو متفق عليه، وعند ظهورها غيرت المفاهيم الأوربية لاسيما في مجالي الفكاهة والكوميديا , وهي إشارة إلى بداية التمثيل الحديث في الثقافة الغربية.[7] ومن شخصية تسمى شخصية (النمط) التي كانت تعرف من خلال

ازيائها المسرحية مثل التاجر والدكتور والكابيانو وهو الجندي الفخور وغيرها من شخصيات النمط. لكن هذا النوع من الكوميديا لم يؤسس لصورة ولم يمنح المسرح صفة الخلود ونما هي مجرد تأسيس لم يزل باقي ليومنا هذا في بعض الاحيان يستعان به.

اما القرن الثامن عشر فقد اختلفت فيها الكوميديا بشكل مغاير جدا اذ انها حملت اضافة للضحك عمق اكبر لها يرافقها في اغلب الاحيان وهو الحزن والدموع وسميت بالكوميديا (الدامعه)، المزج بين الإحساس الإنساني والمزاح وهو ظهور اسلوب جديد في الكوميديا".[8] التي نلاحظها عند كل من (تشيخوف) في روسيا و (برناتشو) في انكلترا، وغيرهم من الكتاب انذاك. لتنتقل الكوميديا بعد ذلك وتحديدا بالقرن العشرين لنوع جديد واكب روح العصر من صراع مع الالهة وكل متناقضات الزمن المأساوية بأضافات فلسفية وذلك ما نجده على حد سواء من خلال الوجودية والعبثية.

م2/ الكوميديا السوداء بين النظرية والتطبيق

كان للكوميديا السوداء اثر بارز كأسلوب ادبي ظهر في الولايات المتحدة، وتحديدا في القرن العشرين. حيث انها كانت ملتصقة بشكل بارز مع ظهور الفلسفات التي ظهرت بعد الحرب العالمية في الغرب مثل الدادائية والسريالية والعدمية (العبثية) والتكعيبية وغيرها من الفلسفات انذاك.

وكانت تحدد نفسها ضمن خصوصية اطر الفلسفة العبثية اللامعقول تحديدا. لذا كان تطريزها مطابق تماما من حيث الصراع الدرامي والسخرية من الواقع المعاش ومن الشخصيات والمواقف والقيم والحوار الساخر الناقد اللاذع الذي يرتقي الى مستوى عالي من الحوار البعيد عن البذائة لتصل الى مستوى الخلق والادب في نقدها المسرحي ضمن مفارقات هادفة تبتعد كل البعد عن ماتهدف له الكوميديا التي همها الوحيد هو الاضحاك بشتى الوسائل كما تفعل المسرحية الهزلية على الرغم انها خرجت من رحمها الا انها تخالفها بكثير من المفاهيم، اذ انها اي الكوميديا السوداء تهدف لاثارة الضحك عن طريق تنبيه المتلقي لثغرات انسانية واجتماعية وسياسية واقتصادية وعرفية. وبذلك يتحول الضحك الى اصلاح وانتقاد بناء هدفه تحريك وعي المتلقي بمس لمشاعره التي يخفيها دون ادراك لتكون نابعة من روح العصر ومايحمله من ألم وهم ومتناقضات وصراع بتشخيص الحدث والانسان والقضية والخروج منها بانفعالات وصراعات دواخل نفس المتلقي. وهذا ما اعتقده برجسون حين قال" اننا لانضحك على الشخص الذي نشعر نحوه بالعطف والشفقة" . وانما هي انعكاس للذات بمعنى اخر هي تحاور ما بدواخلنا من الام

برد فعل مضحك هستيري ، "بحيث يصبح الضحك انتقادا للواقع، وتعليقا عليه أملا في إصلاحه"[9] ليكون منطقها هو تحاور بين العقل والذات، لتعمل على كشف ذواتنا فالحياة هي عبارة عن مهزلة بنظر من هم يفكرون ويفسرون ويحللون، في تعمل على استنطاق دواخلنا بصورة غير مرئية فهي تأملية فلسفية واقعية تصور الواقع عن طريق السخرية والمفارقة الفاقعة بين القيم والسلوك كي تدمر كل الثوابت والاسس اذا هي فلسفة عبثية تتدد بالواقع وتؤكد على انحطاط القيم الاصيلة وتبين الفشل والسقوط الانساني الاجتماعي هي لاتفصل بين البكاء والضحك كي تصل بنا الى حالة هستيرية بل هي تعرض الواقع بشكل كارتوني ساخر بالفاظ وتعابير متداولة اذ تنتقي كل ماهو شاذ بالمجتمع سلوكا ولغة وهذا المزج بين خطين كبيرين التراجيديا والكوميديا هو التقاء قصدي للوصل لمراحل هستيريا التي تقترب احيانا من الجنون، من خلال مواجهة انفسنا بمشاعر الرعب والخوف منها وعليها من الواقع الذي نعيشه في هذه الحالة لايمتلك المتلقي سوى الاغراق بالضحك للهروب من جنون واقعه الصادم.

ومن خلال مشاهدتنا للكوميديا السوداء على خشبات المسارح ، وضمن الرؤى الاخراجية نلاحظ انها تتعامل مع الفرد على انها لاتشكل قضية فردانية بل تتحول الى ظاهرة اجتماعية يصل بها المخرج حد كسر كل ماهو ثابت وقانوني ومن هنا يصل اي المخرج الى اعماق المتلقي ليثير فكره وما يتعرض له من سلب وضعف عن طريق الدلالة والرمز وخلط الامكنة والازمنة والصور الدرامية والمؤثرات البصرية المبهرة التي تعمل على فعل القصدية التي لاتمثل المعنى السطحي بل هي تذهب الى اعماقه بما يسمى بمعنى المعنى لتظهره بشكله المفكك عن طريق التلاعب به ولتصل بنا الى التنوع والتعدد بالدلالات، التي يضع بها المتلقي ضمن هيجان ومشاركة فعالة للحدث وضمن خطين خط الضحك وخط البكاء هذا المزج الصعب بين الخطين هو ماكان الاخراج يعمل عليه بشكل جاد وبرؤية جديدة حاملة شكل جديد من اشكال الدراما. مليئة بالرموز والدلالات والخلط بين الامكنة والازمنة والصور الدرامية والمؤثرات البصرية المبهرة لتظهر بشكلها العبثي عن طريق الخلط بالمعنى لتصل بنتيجة هي ان الاشكالوال دلالات المتعددة والمختلفة يعطي المتلقي الفكرة بشكل مشفر للتخفيف من شدة الامه التراجيديا التي يعيشها ويبطنها بدواخله دون دراية واعية لما يعتريه من الم لتكون هي التنفيس الداخلي لبواطن المتلقي الداخلية والمهملة بقصدية المتلقي كي لاتثير المه ومعاناته. من هنا يحتاج هذا المسرح الى جمهور مسرحي على درجة عالية من الثقافة والوعي.

مؤشرات البحث

1- الكوميديا السوداء هي فلسفة جديدة تعبر عبثية الواقع وانحدار الانسنة وسقوط للقيم الاجتماعية والاخلاقية.
2- ترتكز وبشكل كبير على عدمية الحياة ولا جدوى ومن هنا كان التعبير عن الدواخل بالضحك الهستيري المؤلم نتيجة ادراك المتلقي لسوداوية الحياة.
3- تضع المتلقي امام ذاته بشكل فكاهي مؤلم وذلك ضمن تقاطعات بين الواقع والا واقع.
4- الكوميديا السوداء هي سخرية ايجابية تختلف عن الكوميديا التي تهدف الى الترفيه. فهي تتخطى الاحساس بالفجيعة او الماساة.

الفصل الثالث

اجراءات البحث

المبحث الأول:

أولا: مجتمع البحث

لقد عملت الباحثة على تحديد مجتمع بحثها ولاسيما ضمن الحقبه المعاصرة لظهور مسرح العبث .

ثانياً: طرق تحليل البحث

استعملت الباحثة الأسلوب الوصفي التحليلي.

ثالثاً: اختيار عينات البحث

لقد اعتمدت الباحثة طريقة التحليل الوصفي في تحليل المعلومات. وقد تم اختيار عينة قصدية إذ اتضح ان هذه العينة ستسهم في إغناء الدراسة، بعد فرز وتحديد ظهرات مسرحية (احلام كارتون) لـ(كريم شغيدل) عينة وقع عليها الاختيار.

المبحث الثاني: تحليل العينة

عينة البحث

مسرحية : احلام كارتون / عرضت على المسرح الوطني 2014

تاليف: كريم شغيدل اخراج: كاظم النصار

على متن طائرة شغيدل رسم النصار احلامه الكوميدية والتي اندرجت تحت اسلوبا مهم ومميز لما بعد الحداثة هو (الكوميك الصادم) او ما يسمى بـ (الكوميديا السوداء)

التي هي اعلى درجات الالم ، نوع من الضحك الذي يسخر فيه الانسان من الامه، هكذا كان حال طائرة النصار وشغيدل صورا واسعة وبليغة من السخرية والالم المميت، كسرت بدواخلنا الحواجز النفسية اذ استطاع المخرج ان يهدم ويخترق حاجز الصوت الفكري والنفسي بشجاعة فارس مسرح فذ وممثلين قدموا اداءا من اروع ما يقدم على خشبة المسارح العالمية المحترفة... في حين قدم لنا الكاتب نصا مخيفا رغم بساطة فكرته وسلاسة بلاغة لغته. المسرحية عرضت لنا صورا مرعبة لواقعنا الحالي برمزية وحرفية مشهديه بارعة. اذ كان الجمهور في اغلب لحظات العرض يصفق الما ويضحك وجعا، على الرغم من ان العرض كان يفلت احيانا منا في هنيهات سريعة، لكن سرعان ماتحلق الطائرة بنا لنشد احزمة الامان مما سياتي به من صدمة ودهشة ممتعة تاخذنا بعيدا باجواء السخرية والضحك والجدية و الفائدة في ان واحد، لهذا فان الضحك كان فيها لايمكن ان يكون الا صدى لشهقة مكتومة .

لقد اعتمد العرض على التشخيص ورصد المشوه من المجتمع بايقاع ملون من الحوارات الساخرة بتعبير نقدي كاريكاتوري. اذ جمع المخرج بين العلامة اللفظية وبين العلامة البصرية، التي استطاعت بدورها ان تشكل فرجة درامية ممتعة بكل اشكالها الدلالية والمرجعية والفنية والايديولوجية والحسية والنفسية، فهو فلسفة تاملية ماساوية تناولها المخرج بذكاء ليعرض كل سلوكيات الواقع العبثي من خلال لغة كاريكاتورية جمالية مؤلمة.

لو استرجعنا مثلا تعريفه ارسطو للكوميديا على انها محاكاة لأراذل الناس... للادركنا ان الكوميديا عند شغيدل والنصار هي محاكاة للطبقة العليا من الناس ولايديولجيات المجتع بشكل من الاشكال.... وذلك بطرح المخرج لاشكالية كبيرة وواسعة ضمت جميع افراد المجتمع تحت فضاء افتراضي (الطائرة) التي يتأجل اقلاعها فهي اذ تاجيل لاحلامنا...

اما لو تحدثنا عن الشخصية التي تفاعلت معها وكانت مركزا مهما في العرض، عذرا انني لا ابخس حق الشخصيات الباقية بالاهمية و الاداء والفاعلية ابدا، ولكن هذه الشخصية تعتبر هي رمزا مهما في مجتمعنا العربي (الشخصية الدينية)، تناص واستعارة استلهمها الكاتب ليبعث فينا الضحك لكن ليس هو الضحك من اجل الضحك بل كانت هذه الشخصية تؤرخ للزمن الرديء، فهي تحرم تارة وتحلل تارة اخرى بغية اضحاكنا من انفسنا ومن وضعنا عبر تماهينا بهذه الشخصية المهمة، ضحك يشبه البكاء هذه الشخصية

كانت على الخشبة زاخرة بالانتقاد والاحتجاج والثورة على الواقع فالكوميديا السوداء في هذا العمل قائمة على كوميديا الحوار، وكوميديا الشخصية، وكوميديا الموقف، وكوميديا الرؤيا. وغالبا، ما تنطلق هذه الكوميديا الصادمة من الأمثال الشعبية والاغاني والموسيقى المتوارثة.

اعتمد المخرج اسلوب الكوميديا السوداء او الصادم لانتقاد الواقع بكل مفاصله السياسية الدينية الاقتصادية الاجتماعية الثقافية وتعريته فكاهيا وكاريكاتوريا، ومسخه، وتشويهه فنيا وجماليا، وكشف نواقصه الظاهرة، وتشخيص عيوبه المضمرة، باستعمال السخرية والهزل لرصد الواقع القائم، واستشراف لحظات المستقبل الممكنة. ، والاستعانة بكل المقومات المسرحية، سواء أكانت كتلا بشرية أم أشكالا سينوغرافية، وذلك باعتبارها علامات سيميائية وأيقونية.

واخيرا يمكننا القول بان هذه المسرحية تبشر بمولود جديد هو مسرح (الكوميديا السوداء) .. تجربة جريئة وشجاعة خطاها المخرج بكل ثقة وابداع ليؤسس لمسرح تجريبي حداثوي وباسلوب واعي وجمالي، باستخدامه الواقعية النقدية وبطرح فلسفي وفكري عقلاني. بسعي جاد باظهار كل مواطن الجمال والفن والنقد الواقعي المرصود والمشخص بشكله الساخر والهزلي والضاحك والباكي.

الفصل الرابع

النتائج

1-تعتمد الكوميديا السوداء على نقد الواقع بكل فئاته اجتماعية سياسية اقتصادية ثقافية

2-الاستعانة بكل مقومات المسرحية سواء كانت حركية او سينوغرافية او رموز ودلالات وايقونات.

3- تجمع بين الجد والهزل من اجل وعي المتلقي وتحريره على مستوى الشعور والوعي

4- المزاوجة بين المتعة والفائدة بطرق المغايرة والانزياح والسخرية

5- اعتبار هذه النظرية الدرامية نظرية مسرحية، وأداة درامية في الكتابة والإخراج.

الهوامش :

[1] – ماري الياس وحنان قصاب حسن .المعجم المسرحي , بيروت , مكتبة لبنان ناشرون ,2006 ,ص 375-376 .

[2] – محمد حمدي إبراهيم , نظرية الدراما الإغريقية ., مصر , الشركة المصرية العالمية لنشر لونجمان , ط1, 1994, ص 86-87

[3] – ينظر : D.J palmer, Developments in Griticism, ,.London ,printed in Hong Kong ,1987,p97,

[4] – ينظر : Andrew stott Comedy , Routiedge ,Ney York and London, 1992,p19

[5] – ينظر :ادوين ديور, فن التمثيل الآفاق والأعماق ,ج1, مصر ' اكاديمة الفنون وحدة الإصدارات ص69.

[6] – انظر , الارداىس نيكول , المسرحية العالمية , ج1 , ترجمة عثمان نوبه , (القاهره , وزارة الثقافة والارشاد القومي , ب ث), ص176

[7] –ينظر : Jennifer Hart ,ACOMEDIA DELLARTE, thesis Master of Arts the University of Central Florida,2004p26

[8] – انظر نيكول , مصدر سابق , ص211

[9] – نهاد صليحة التيارات المسرحية المعاصرة، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1999. ص:135.

المصادر

1- ماري الياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2006.

2- محمد حمدي إبراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، مصر، الشركة المصرية العالمية لنشر لونجمان، ط1، 1994.

3- D.J palmer, Developments in Griticism, ,.London printed in Hong Kong ,1987. ,

4- Andrew stott Comedy , Routiedge ,Ney York and London, 1992.

5 – ينظر : ادوين ديور، فن التمثيل الآفاق والأعماق، ج1، مصر، اكاديمة الفنون وحدة الإصدارات.

6 – ينظر: الارداىس نيكول، المسرحية العالمية، ج1، ترجمة عثمان نوبه، (القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ب ث).

7- Jennifer Hart ,ACOMEDIA DELLARTE, thesis Master of Arts the University of Central Florida,2004.

8- نهاد صليحة: التيارات المسرحية المعاصرة، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1999.

Introduction

After World War II, black comedy had a different new form and became a milestone for other comics, changed all the systems that comedy was based on, which either concerned to perform a particular issue or just to entertain. On the contrary, black comedy is a process of social agitation which recalls the idea of weakness and injustice in an ironic and tragedy way with inner tears to form a black comedy or a tragicomedy which is a literary genre that blends aspects of both tragic and comic forms to reveal falsehood of community and awaken the consciousness of the audience throughout its esthetic and critical methods by shocking irony, humor, paradox, crying, laughing and exposure. It's a philosophy of a contemplative tragedy in an absurdist perspective of the bitter reality and torn community via hysterical laugh mixed with tears.